

رسالة التوحيد

تصدر عن ذلك الشعور بالسلطان الإلهي الذي يغمر القوة البشرية ويستغرق الحول فتخشع له القلوب وتستحذى له النفوس وليس فيها شيء يعلو على متناول العقل إلا نحو تحديد عدد الركعات أو رمى الجمرات على أنه مما يسهل التسليم فيه لحكمة العليم الخبير وليس فيه من ظاهر العبث واستحالة المعنى ما يخل بالأصول التي وضعها الله للعقل في الفهم والتفكير أما الصوم فحرمان يعظم به أمر الله في النفس وتعرف به مقادير النعم عند فقدانها ومكانة الإحسان الإلهي في التفضل بها كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أما أعمال الحج فتذكير للإنسان بأوليات حاجاته وتعهده له بتمثيل المساواة بين أفرادها ولو في العمر مرة يرتفع فيها الامتياز بين الغنى والفقير والصعلوك والأمير ويظهر الجميع في معرض واحد عراة الأبدان متجردين عن آثار الصنعة وحدث بينهم العبودية لله رب العالمين كل ذلك مع استبقائهم في الطواف والسعى والمواقف ولمس الحجر ذكرى إبراهيم عليه السلام وهو أبو الدين وهو الذي سماهم المسلمين واستقرار يقينهم على أن لا شيء من تلك البقايا الشريفة يضر أو ينفع وشعار هذا الإذعان الكريم في كل عمل الله أكبر أين هذا كله مما تجد في عبادات أقوام آخرين يضل فيها العقل ويتعذر معها خلوص السر للتنزيه والتوحيد .

كشف الإسلام عن العقل غمة من الوهم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير العالم والكون الصغير والإنسان فقرر أن آيات الله الكبرى في صنع العالم إنما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في علمه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزائية غير أنه لا يجوز أن يغفل شأن الله فيها بل ينبغي أن يحيى ذكره عند رؤيتها فقد جاء على لسان النبي إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادكروا الله وفيه التصريح بأن جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضى فيه إلا العناية الأزلية على السنن التي أقامته عليها ثم أماط اللثام عن حال الإنسان في النعم التي يتمتع بها الأشخاص أو الأمم والمصائب